أخطر كتاب في العالم!!

هذا الكتاب هو أخطر كتاب ظهر في العالم[1] ولا يستطيع أن يقدره حق قدره إلا من يدرس البروتوكولات كلها كلمة كلمة في أناة وتبصر.. ويربط بين أجزاء الخطة التي رسمتها.. بشرط أن يكون بعيد النظر.. فقيهاً بتيارات التاريخ وسنن الاجتماع.. وأن يكون ملماً بحوادث التاريخ اليهودي والعالمي بعامة لا سيما الحوادث الحاضرة وأصابع اليهود من ورائها.. ثم يكون خبيراً بمعرفة الاتجاهات التاريخية والطبائع البشرية.. وعندئذ فحسب ستنكشف له مؤامرة يهودية جهنمية تهدف إلى إفساد العالم وانحلاله لاخضاعه كله لمصلحة اليهود ولسيطرتهم دون سائر البشر.

ولو توهمنا أن مجمعاً من أعتى الأبالسة الأشرار قد انعقد ليتبارى أفراده أو طوائفه منفردين أو متعاونين في ابتكار أجرم خطة لتدمير العالم واستعباده.. إذن لما تفتق عقل أشد هؤلاء الأبالسة إجراماً وخسة وعنفاً عن مؤامرة شر من هذهالمؤامرة التي تمخض عنها المؤتمر الأول لحكماء صهيون سنة (١٨٩٧) وفيه درس المؤتمرون خطة إجرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم.. وهذه البروتوكولات توضح أطرافاً من هذه الخطة.

(١) هذا الفصل بتصرف من مقدمة ترجمة التونسي للبروتوكولات..

إن هذا الكتاب لينضح بل يفيض بالحقد والاحتكار والنقمة على العالم أجمع.. ويكتشف عن فطنة حكماء صهيون إلى ما يمكن أن تنطوي عليه النفس البشرية من خسة وقسوة ولؤم.. كما يكشف عن معرفتهم الواسعة بالطرق التي يستطاع بها استغلال نزعاتها الشريرة العارمة.. لمصلحة اليهود وتمكينهم من السيطرة على البشر جميعاً.. بل يكشف عن الوسائل الناجحة التي أعدها اليهود للوصول إلى هذه الغاية.

هذا الكتاب يوقف أمامنا النفس البشرية على مسرح الحياة اليومية الأرضية مفضوحة كل معايبها.. عارية من كل ملابسها التي نسجتها الإنسانية في تطورها من الوحشية إلى المدنية لتستر بها عوراتها.. وتلطفت بها من حدة نزعاتها.. وتتسامى بها إلى أفق مهذب.

أن هذه الملابس أو الضوابط كالأديان والشرائع والقوانين والعادات الكريمة قد استطاعت خلال تطورات التاريخ أن تخفي كثيراً من ميول النفس السيئة.. وتعطل كثيراً منها ومن آثارها.. ولكن حكماء صهيون قد هتكوا كل هذه الملابس وأنكروا كل هذه الضوابط.. وفضحوا أمامنا الطبيعة البشرية.. حتى ليشعر الإنسان - وهو يتأملها في هذا الكتاب - بالغثيان.. والاشمئزاز والدوار.. ويود لو يغمض عينيه.. أو يلوي وجهه.. أو يفر بنفسه هرباً من النظر إلى بشاعاتها.. وبينما هم يبرزون الجوانب الشريرة في الطبيعة البشرية يخبئون النواحي الخيرة منها.. أو يهملونها من حسابهم.. فيخطئون.. وهنا تظهر مواضع الضعف في نظرياتهم وما يبنون عليها من خطط.. فيصدق عليهم ما شنع به شاعرنا (أبو نواس)[1] على (النظام) الفيلسوف المتكلم.. فقال يوبخه:

---

(١) (أبو نواس) أو الحسن بن هانئ شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي.. يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي.. وعرف أبو نواس بشاعر الخمر.. قال البعض إنه تاب عما كان فيه واتجه إلى الزهد وأنشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك.. وُلِدَ في مدينة الأحواز من بلاد خوزستان جنوب غربي إيران سنة ٧٦٢م) لأب دمشقي حكمي وأم فارسية واسمها جلبان (بضم الجيم).. والمرجح أن والده كان من جند مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في دمشق.. توفي عام (١٩٩هـ / ٨١٣م) قبل أن يدخل المأمون بغداد.. وقد اختُلِفَ في مكان وفاته أهي في السجن أم في دار إسماعيل بن نوبخت.. وكذلك في سبب وفاته وقيل إن إسماعيل هذا قد سمهُ تخلصاً من سلاطة لسانهِ.. وذكر الخطيب البغدادي..

فقـــل لم يدعـــي في العلـــم فلسفـــة حفظـت شـيئاً.. وغابـت عنـك أشـياء
لا تحظـر العفـو ان كنـت أمـرءاً حرجـاً فـإن حظـرك كلـه في الـدين إزراء

وهم لا يخطئون غالباً إلا مغرضين.. وذلك عندما تعميهم اللهفة والحرص الطائش على تحقيق أهدافهم قبل الأوان.. أو يفيض في نفوسهم الحقد العريق الذي يمد لهم مداً في اليأس من كل خير في الضمير البشري.. فيتساهلون مضطرين في اختيار الأسس والوسائل القوية لهذه الغايات.. وندر ما نظروا إلى شيء إلا وعيونهم مكحولة بل مغشاة بالأهواء الجامحة.. ولذلك قلما تسلم لهم خطة تامة إلى أمد بعيد.

عناصر المؤامرة الصهيونية

إن المجال لا يسمح بذكر كل عناصر المؤامرة كما جاءت في البروتوكولات.. وحسبنا الأشارة إلى ما يأتي منها:

- لليهود منذ قرون خطة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع.. لمصلحة اليهود وحدهم.. وكان ينقحها حكماؤهم طوراً فطوراً حسب الأحوال.. مع وحدة الغاية.
- تتضح هذه الخطة السرية بماعُرِفَ عن اليهود من الحقد على الأمم لا سيما المسيحيين.. والضغن على الأديان لا سيما المسيحية.. كما تتضح بالحرص على السيطرة العالمية.
- يسعى اليهود لهدم الحكومات في كل الأقطار.. والاستعاضة عنها بحكومة ملكية استبدادية يهودية.. ويهيئون كل الوسائل لهدم الحكومات لاسيما الملكية. ومن هذه الوسائل إغراء الملوك باضطهاد الشعوب.. وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك.. متوسلين لذلك بنشر مبادئ الحرية والمساواة.. ونحوها مع تفسيرها تفسيراً خاصاً يؤذي الجانبين.. وبمحاولة إبقاء كل من قوة الحكومة

صاحب كتاب تاريخ بغداد أن أبو نواس دفن في مقبرة الشونيزية في الجانب الغربي من بغداد عند تل يسمى تل اليهود وهي مقبرة الشيخ معروف حالياً.

وقوة الشعب متعاديتين.. وإبقاء كل منها في توجس وخوف دائم من الأخرى.. وإفساد الحكام وزعماء الشعوب.. ومحاربة كل ذكاء يظهر بين الأمميين[1] مع الاستعانة على تحقيق ذلك كله بالنساء والمال والمناصب والمكايد.. وما إلى ذلك من وسائل الفتنة. ويكون مقر الحكومة الإسرائيلية في أورشليم أولاً.. ثم تستقر إلى الأبد في روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية قديماً.

- إلقاء بذور الخلاف والشغب في كل الدول.. عن طريق الجمعيات السرية السياسية والدينية والفنية والرياضية والمحافل الماسونية.. والأندية على اختلاف نشاطها.. والجمعيات العلنية من كل لون.. ونقل الدول من التسامح إلى التطرف السياسي والديني.. فالإشتراكية.. فالإباحية.. فالفوضوية.. فاستحالة تطبيق مبادئ المساواة.
- هذا كله مع التمسك بابقاء الأمة اليهودية متماسكة بعيدة عن التأثر بالتعاليم التي تضرها.. ولكنها تضر غيرها.
- يرون أن طرق الحكم الحاضرة في العالم جميعاً فاسدة.. والواجب لزيادة إفسادها في تدرج إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم لا قبل هذا الوقت ولا بعده. لأن حكم الناس صناعة مقدسة سامية سرية.. لا يتقنها في رأيهم إلا نخبة موهوبة ممتازة من اليهود الذين اتقنوا التدرب التقليدي عليها.. وكشفت لهم أسرارها التي استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ خلال قرون طويلة.. وهي تمنح لهم سراً.. وليست السياسة بأي حال من عمل الشعوب أو العباقرة غير المخلوقين لها بين الأمميين.
- يجب أن يُساس الناسُ كما تُساس قطعان البهائم الحقيرة.. وكل الأمميين حتى الزعماء الممتازين منهم إنما هم قطع شطرنج في أيدي اليهود تسهل استمالتهم واستعبادهم بالتهديد أو المال أو النساء أو المناصب أو نحوها.

---

[1] هو لفظ سنتخدمه بعد ذلك كثيراً بمعنى (غير اليهود).

- يجب أن توضع تحت أيدي اليهود كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح وشركات السينما ودورها والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها.
- لأن الذهب الذي يحتكره اليهود هو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام وإفساد الشبان والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة.. وإغراء الناس بالشهوات والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة.. وإغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة.. وإشاعة الرذيلة والانحلال.. حتى تستنزف قوى الأمميين استنزافاً.. فلا تجد مفراً من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود.
- وضع أُسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود.. لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى.. مع تعمد أحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام كي لا يستريح العالم أبداً.. فيضطر إلى الاستعانة باليهود لكشف كروبه.. ويرضى صاغرا مغتبطاً بالسلطة اليهودية العالمية.
- الاستعانة بأمريكا والصين واليابان على تأديب أوروبا وإخضاعها.
- أما بقية خطوط المؤامرة فتتكفل بتفصيلها البروتوكولات نفسها.

قرارات المؤتمر الصهيوني الأول واختلاس البروتوكولات:

عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ سنة ١٨٩٧حتى سنة ١٩٥١ وكان آخرها هو المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة في ١٤ أغسطس سنة ١٩٥١ ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها.. وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعاً دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية.

أما أول مؤتمراتهم فكان في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ برئاسة زعيمهم (هرتزل[1]) وقد اجتمع فيه نحو ثلثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين

(١) تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ٣ يوليو ١٩٠٤) هو صحفي يهودي نمساوي مَجَرِيُ.. مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة.. وُلِدَ في بودابست وتوفي في إدلاخ بالنمسا حصل على الدكتوراه في القانون سنة ١٨٨٤ ثم اشتغل بعدها فترة قصيرة في محاكم فيينا وسالتسبورج.. ثم توجه إلى الأدب والتأليف.. وبداية من سنة ١٨٨٥ نشر مجموعة من القصص الفلسفية. كما كتب عدداً من المسرحيات التي لم تلق نجاحا كبيراً.. اشتغل هرتزل أيضاً بالصحافة في باريس وهناك بدأت

جمعية يهودية.. وقد قرروا في المؤتمر خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود.. وكانت قراراتهم فيه سرية محوطة بأشد أنواع الكتمان والتحفظ إلا عن أصحابها بين الناس.. أما غيرهم فمحجوبون عنها ولو كانوا من أكابر زعماء اليهود.. فضلاً عن فضح أسرارها سراً.. وأن كان فيما ظهر منها ما يكشف بقوة ووضوح عما لا يزال خافياً.

فقد استطاعت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم في وكر من أوكارهم الماسونية السرية في فرنسا - أن تختلس بعض هذه الوثائق ثم تفر بها.. والوثائق المختلسة هي هذه البروتوكولات التي بين أيدينا.

وصلت هذه الوثائق إلى (أليكس نيقولا) كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية.. فقدر خطورتها ونياتها الشريرة ضد العالم لا سيما بلاده.. ثم رأى أن يضعها في أيدي أخرى أمينة أقدر من يده على الانتفاع بها ونشرها.. فدفعها إلى صديقه العالم الروسي (سرجي نيلوس) الذي لا شك أنه درسها دراسة دقيقة كافية.. وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية آنذاك فأدرك خطورتها.. واستطاع من جراء هذه المقارنة أن يتنبأ بكثير من الأحداث الخطيرة التي وقعت بعد ذلك بسنوات والتي كان لها دوي هائل في جميع العالم.. كما كان لها أثر في توجيه تاريخه وتطوراته.. ومن بين هذه النبوءات التى تحققت فيما بعد:

- زوال القيصرية في روسيا..

تتشكل أفكاره الصهيونية في فترة ازدادت فيها معاداة السامية ورغبة اليهود في اثبات وجودهم كشعب يبحث عن بديل.. الإجابة كانت في الكتيب الذي انتهى من تأليفه يوم ١٧ يونيو ١٨٩٥ والذي نشر سنة ١٨٩٦ تحت عنوان " Der (دولة اليهود).. وإن لم يجد الكتيب صدى واسع في البداية إلا أنه وضع بالفعل حجر الأساس لظهور الصهيونية السياسية وتأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية بين ٢٩ و٣١ أغسطس ١٨٩٧ وانتخاب هرتزل رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية.. بعد ذلك بدأ هرتزل عدة محادثات مع شخصيات عديدة من دول مختلفة بحثاً عن مؤيدين للمشروع الصهيوني.. لكن جهوده فشلت.. وتركت المجال مفتوحاً لمواصلة العمل على تأسيس الدولة.. وكان لديه ثلاث أبناء جميعهم ماتوا بشكل مأساوي.. ابنته بولين: عانت من الأمراض العقلية وإدمان المخدرات.. توفيت في عام ١٩٣٠ وهي في سن ٤٠ ابنه هانز: انتحر (بالرصاص) يوم جنازة شقيقته وكان في سن ٣٩ ابنته مارجريت (كانت مريضة نفسياً) وقضت سنوات طويلة في المستشفيات.. ثم أخذها النازيون لمحارق الهولوكوست.. وتُوفيَت وأحرقت جثتها بعد اغتصابها.

- نشر الشيوعية فيها..
- حكمها حكماً استبدادياً غاشماً ..
- اتخاذها مركزاً لنشر المؤامرات والقلاقل في العالم..
- سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس إسرائيل.
- عودة اليهود إلى فلسطين وقيام دولة إسرائيل فيها..
- سقوط الملكيات في أوروبا وقد زالت الملكيات فعلاً في ألمانيا والنمسا ورومانيا وأسبانيا وإيطاليا..
- حدوث حروب عالمية لأول مرة في التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب معاً ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود. وقد نشبت منها حربان.. واليهود يهيئون الأحوال الآن لنشوب الثالثة.. فنفوذ اليهود في أمريكا لا يعادله نفوذ أقلية.. ثم أنهم أهل سلطان في روسيا.. وهاتان الدولتان أعظم قوتين عالميتين.. واليهود يجرونهما إلى الحرب لتحطيمهما معاً.. وإذا تحطمتا ازداد طمع اليهود في حكم العالم كله حكماً مكشوفاً بدل حكمهم إياه حكماً مقنعاً..
- نشر الفتن والقلاقل والأزمات الاقتصادية دولياً.. وبنيان الاقتصاد على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود..

وغير ذلك من النبوءات كثير.. وكل ذلك مدون تفصيلاً في المقدمة والتعقيب اللذين كتبهما هو للبروتوكولات.. وهما مترجمان في طبعتنا هذه.. وجميع ذلك يدل على إحاطة الرجل خبراً بحوادث زمانه.. وحسن دراسته للبروتوكولات.. وبعد نظره السياسي.

ذعر اليهود لنشر البروتوكولات وأثر ذلك

وقع الكتاب في يد نيلوس سنة ١٩٠١ وطبع منه نسخاً قليلة لأول مرة بالروسية سنة ١٩٠٢ فافتضحت نيات اليهود الإجرامية.. وجنّ جنونهم خوفاً وفزعاً.. ورأوا العالم يتنبه إلى خططهم الشريرة.. وعمت المذابح ضدهم في روسيا حتى قتل في إحداها هناك نحو عشرة آلاف.. واشتد هلعهم لذلك كله.. فقام زعيمهم الكبير الخطير تيودور هرتزل يلطم ويصرخ لهذه الفضيحة.. وأصدر عدة نشرات يعلن فيها أنه قد سرقت من (قدس الأقداس) بعض الوثائق السرية التي قُصِدَ إخفاؤها حتى على أعاظم اليهود.. وأن ذيوعها

قبل الأوان يعرض اليهود في العالم لشر النكبات.. وهب اليهود في كل مكان يعلنون أن البروتوكولات ليست من عملهم.. لكنها مزيفة ومدسوسة عليهم.. ولكن العالم لم يصدق مزاعم اليهود للاتفاقات الواضحة بين خطة البروتوكولات والأحداث الجارية في العالم يومئذ.. وهذا التوافق لا يمكن أن يحدث مصادفةً لمصلحة اليهود وحدهم.. وهي أدلة بينة أو قرائن أكيدة لا سبيل إلى إنكارها أو الشك فيها.. فانصرف الناس عن مزاعم اليهود.. وآمنوا إيماناً وثيقاً أن البروتوكولات من عملهم.. فانتشرت وانتشرت تراجمها إلى مختلف اللهجات الروسية.. وانتشرت معها المذابح والاضطهادات ضد اليهود في كل أنحاء روسيا حتى قُتِلَ منهم ذات مرة ـ كما قلنا ـ عشرة آلاف.. وحوصروا في أحيائهم كما قدمنا.

واستماتت اليهود في الدفاع عن أنفسهم.. وسمعتهم المهتوكة.. وجدوا في إخفاء فضيحتهم أو حصرها في أضيق نطاق.. فأقبلوا يشترون نسخ الكتاب من الأسواق بأي ثمن.. ولكنهم عجزوا.. واستعانوا بذهبهم ونسائهم وتهديداتهم ونفوذ هيئاتهم وزعمائهم في سائر الأقطار الأوروبية لا سيما بريطانيا لكي تضغط على روسيا دبلوماسياً لإيقاف المذابح ومصادرة نسخ الكتاب علنياً.. فتم لهم ذلك بعد جهود جبارة.

ولكن نيلوس أعاد نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥ ونفذت هذه الطبعة في سرعة غريبة بوسائل خفية.. لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها.. ثم طُبِعَ سنة ١٩١١ فنفذت نسخه على هذا النحو.. ولما طُبِعَ سنة١٩١٧ صادره البلاشفة الشيوعيون الذين استطاعوا في تلك السنة تدمير القيصرية.. والقبض على زمام الحكم في روسيا.. وكان معظمهم من اليهود الصرحاء أو المستورين أو من صنائعهم.. ثم اختفت البروتوكولات من روسيا بعدها تماماً.

وكانت قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥ إلى المتحف البريطاني في لندن ختمت بخاتم المتحف.. وسجل عليها تاريخ تسلمها (١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦) وبقيت النسخة مهملة حتى حدث الانقلاب الشيوعي في روسيا سنة ١٩١٧ فوقع اختيار جريدة (المورننج بوست Morning Post) على مراسلها (فكتور مارسدن) ليوافيها بأخبار الانقلاب الشيوعي من روسيا.. واطلع قبل سفره على عدة كتب روسية كانت

من بينها البروتوكولات الموجودة بالمتحف البريطاني.. فقرأ النسخة وقدر خطرها.. ورأى - وهو في سنة ١٩١٧ - نبوءة ناشرها الروسي نيلوس بهذا الانقلاب سنة ١٩٠٥ أي قبل وقوعه بإثنتي عشرة سنة كاملة.. فعكف المراسل في المتحف على ترجمتها إلى الإنجليزية ثم نشرها.. وأعيد طبعها مرات بعد ذلك كانت الأخيرة والخامسة منها سنة ١٩٢١ (ومنها نسختنا).. ثم لم يجرؤ ناشر في بريطانيا ولا أمريكا على طبعها بعد ذلك كما يقول مؤرخ إنجليزي معاصر هو العلامة (دجلاس ريد) في كتابه على الحركات السرية المعاصرة.

وفي سنة ١٩١٩ تُرجِمَ الكتاب إلى الألمانية.. ونُشِرَ في برلين.. ثم توقف طبعه بعد أن جمعت أكثر نسخه.. وكان هذا مظهراً من مظاهر نفوذ اليهودية في ألمانيا.. قبل انتصارها عليها بعد الحرب العالمية الأولى.. كما انتصرت عليها خلالها.. إذ كانت ألاعيبها ودسائسها قد امتدت أثناء الحرب من الساسة إلى قادة الجيوش والأساطيل بين الألمان.. وكانت سبباً من أكبر أسباب هزيمة ألمانيا في تلك الحرب الضروس.. ومن أظهر آيات ذلك انسحاب الأسطول الألماني وهو منتصر ظاهر أمام الأسطول الإنجليزي في معركة (جتلاند) وقد استشهد البريطان في مقدمة طبعتهم الخامسة للبروتوكولات على صحة نسبتها إلى اليهود وسعيهم وفق خططها ببيانات هذه المعركة ونتيجتها.. وأن كانوا قد بالغوا حين حملوا اليهود كل مسؤوليات الحرب العالمية الأولى.. ومصرع روسيا.. وهزيمة ألمانيا.. وما أعقب الحرب من ويلات عاتية.. شملت كل بقاع الأرض.

ومع محاولات اليهود الجبارة إخفاء أمر البروتوكولات عن العيون انتشرت تراجمها بلغات مختلفة في فرنسا وإيطاليا وبولونيا وأمريكا عقب تلك الحرب.. وعم انتشارها وأثرها في تلك البلاد.. ولكن سرعان ما كانت تختفي دائماً من المكتبات بأساليب محيرة حيثما تظهر.. فلما عجزوا بشتى أساليبهم عن ذلك أحرقوا المطابع التى كانت تتولى طباعتها.

ومن المتعذر أن نتتبع رحلة هذا الكتاب العجيب في بلاد العالم بين الظهور والاختفاء. ولكنا نشير فقط إلى بعض وقائعه في بريطانيا وهي مثل يدل على سواه.. وحسبنا هنا أن نصور قطرات مما سالت به أقلام كتابها حول البروتوكولات عقب الحرب العالمية

الأولى التي طالت نيرانها معظم أمم العالم كبارها وصغارها.. وبددت في سعيرها كثيراً من كنوز شبابها وأخلاقها وعقائدها وروابطها وأموالها.. ولم يخرج منها سالماً غانماً إلا اليهود.. حتى رأى أحد كتاب البريطان أن الهتاف الصحيح يومئذ هو (اليهودية فوق الجميع Jewry ueber Alles) لا هتاف الغرور (ألمانيا فوق الجميع) الذي جعلته ألمانيا شعارها أيام ازدهارها عقب انتصارها على فرنسا في الحرب السبعينية[1] ومناداتها بملك بروسيا إمبراطوراً على ألمانيا في حفل تتويجه بقصر فرساي في قلب فرنسا.. ثم ضمنت ألمانيا هذا الشعار نشيدها القومي وجعلته عنواناً له.. ولم يزل كذلك حتى هُزِمت في تلك الحرب.

وقد نعى الكاتب البريطاني على أمته يومئذ مقاومتها الخطر الألماني الذي غلبته في تلك الحرب دون الخطر اليهودي الذي أهملته وأن كان أخفى وأكبر.. وكذلك وجه نظر أمته يومئذ إلى الصلات القوية بين البروتوكولات الصهيونية وسقوط روسيا في أيدي البلاشفة - ومعظمهم من اليهود - عقب مصرع القيصرية فيها.. وقد أحدث سقوطها يومئذ من الدوي في آذان البشر.. ومن الروع في نفوسهم ما يحدثه منظر جبل يخر في بحر زاخر فيتتابع إرغاؤه وازباده.. وكانت بوادر الفظائع البلشفية اليهودية في روسيا تؤرق أجفان الأمم الحرة توجعاً لشعبها الهائل المسكين الذي كان يتقلى في رمضاء القيصرية.. ويتفزز للنجاة منها.. فوقع في جحيم الشيوعية اليهودية.. ولاح بعد ظهور البروتوكولات - أبان تسعر تلك الجحيم بضحاياها - إن خططها تطبق في وحشية على ذلك الشعب المسكين.. وتمتد ألسنتها سراً وجهراً إلى سائر الشعوب الأوروبية.. ولا سيما الشعوب التي تتاخم روسيا أو تدانيها في أوروبا الشرقية والوسطى.. عن طريق إثارة القلاقل والفتن والإضرابات والاغتيالات للقضاء على كل قوة وطنية وإنسانية فيها كي تخر ذليلة مستسلمة تحت أقدام البلشفية اليهودية.

(١) الحرب السبعينية نسبةً للعام الذى اندلعت فيه وهو عام ١٨٧٠ وكانت بين فرنسا وألمانيا.. وكان من آثارها اضطراب الأسواق في أوروبا.. وكان الاقتصاد العالمي على وشك الانهيار..

وكذلك تنبه بعض الكتاب الذين قارنوا بين تلك الفظائع البلشفية والبروتوكولات الصهيونية فسموا البروتوكولات (الإنجيل البلشفي) بما لاحظوا بينها من توافق عجيب..

كما لاحظ كاتب إنجليزي مناورات اليهود للتشكيك في نسبة الكتاب إليهم.. ففند مزاعمهم بحجج كثيرة: منها ذلك التوافق العجيب بين نبوءات البروتوكولات في سنة ١٩٠٥ وتلك الويلات التي رمى بها اليهود العالم كفتنة البلشفية اليهودية وغيرها من الفتن في روسيا وسائر البلاد الأوروبية.. ودعا الكاتب مواطنيه وسائر الأمم المسيحية إلى الحذر من عواقب هذه الفتنة الوحشية العمياء التي أثاروها في أوروبا ولا سيما روسيا.. ولكن خطر البلشفية اليهودية ودسائسها وعنفها وخداعها وذهبها مكنت لها من الاستقرار في وكرها الجبار.

وقصر نظر بعض الساسة الأوربيين يومئذ فظنوا روسيا بعيدة ولا خطر عليها.. وفطن غيرهم من الساسة إلى مكمن الخطر ولم يخدعه ذلك البعد.. ولكن الشعوب الحرة كانت قد وضعت كل أصابعها في آذانها واستغشت ما بقي من ثيابها.. حتى لا تسمع نداء الحرب أو ترى ميداناً لها بعد انتصارها في الحرب العالمية الأولى التي استمرت نحو خمس سنوات حتى استنزفت معظم جهود المحاربين فيها غالبين ومغلوبين.

وهذه نبذة مختصرة من ترجمة لأحد الكتاب الإنجليز نراها تلخص نظره إلى مجمل هذا الموقف عندما كتبها في أغسطس سنة ١٩٠٦ قال:

(في مايو سنة ١٩٢٠ نشرت جريدة "التايمز" مقالاً عن "الخطر اليهودي" سمته "رسالة مقلقة: دعوة للتحقيق".. ومنذ هذا الحين بدأت جريدة "المورننج بوست" في نشر مجموعة مماثلة من المقالات في يوليو من نفس العام تحت عنوان "العالم المضطرب: خلف الستار الأحمر". وقد سمى كاتبها البروتوكولات يومئذ (الإنجيل البلشفي) وهي تسمية بالغة الجدارة.

واليهود - سواء منهم المحافظون Orthodox وغير المحافظين Un orthodox - قد جحدوا بالضرورة صحة البروتوكولات ودعوها تزييفاً. غير أن المُزيف - على فرض تزييفها - لابد أن يكون مزيفاً ممتازاً.. ولابد أن يكون يهودياً.. فما من مزيف غير ذلك

يحتمل أن يكون قادراً على تزييف النبوءات فيها فحسب.. فضلاً عن أن يصورها تصويراً كاملاً أيضاً.. إن الوقائع - لسوء حظنا نحن (الجوييم Goyem) في نظرهم يمكن أن تكون أي شيء ما عدا أنها مزيفة.. ولا يمكن أن يعجز أحد.. كما يقول كاتب (التايمز)عن أن يكتشف روسيا السوفيتية في البروتوكولات.. كما أنه لا أحد يستطيع أن ينكر أن القوميسيرين السوفيت يكادون يكونون جميعاً من اليهود)

ويمضي الكاتب قائلاً: "

(من يتأتى الاستخفاف بملاحظة النبوءة.. وقد أنجز جانب منها.. على حين أن جوانب أخرى منها في طريق الإنجاز؟ هل كنا نقاتل طوال هذه السنين الفاجعة لننسف ونستأصل التنظيم السري لسيطرة ألمانيا على العالم لغير هدف إلا لنجد تحته خطراً آخر أعظم لانه أشد خفاء.. هل تخلصنا بتوتير كل عرق في جسم وطننا من "سلام ألماني" لا لشيء إلا لنتورط في "سلام يهودي" ؟ أنه ليتحتم على كل بريطاني مخلص أن يظفر بهذا الكتاب ويدرسه في ضوء الأحداث الداخلية والخارجية.. وعندئذ سيعلم شيئاً عن ماهية الخطر اليهودي.. وسيقرر لنفسه إمكان الثقة باليهود - على أي حال - في حكومة هذا الوطن أو أي وطن مسيحي آخر).

استمرار المعارك حول البروتوكولات

وليست هذه نهاية المعارك التي أثارتها البروتوكولات.. وما كان لها أن تكون النهاية.. فقد استمرت المعارك حولها تضعف أو تشتد في بريطانيا كلما ظهرت آثار العبث اليهودي بمصالحها ولا سيما خلال التقلبات العالمية كالثورات والانقلابات والمجاعات والازمات المالية والسياسية والاجتماعية والفكرية.. فكانت الصحف التي لم ينجح اليهود في السيطرة عليها - وفي مقدمتها (المورننج بوست والتايمز) تنشب هذه المعارك بشدة حول البروتوكولات.. فتتجاوب أصداؤها في صحف أخرى.. ولم يهمل كتابهم ومفكروهم وساستهم أمرها فشاركوا فيها بكتبهم ومقالاتهم على السواء كما يخبرنا بذلك المؤرخ الإنجليزي الجريء (دجلاس ريد) صاحب كتاب (من الدخان إلى الخنق) في بحثه عن الحركات السرية المعاصرة.

وقد ازدادت هذه المعارك حول البروتوكولات عنفاً خلال الحرب العالية الثانية وفي أدبارها.. عندما حاول اليهود جهدهم تسخير بريطانيا لإقامة دولتهم "إسرائيل" وإجلاء العرب عن فلسطين وتخوم سينا الشرقية في مصر.. مهدرين بذلك مصالح بريطانيا وسمعتها وهيبتها.. وعاثت العصابات الإسرائيلية فساداً في تلك البقعة المقدسة.. تقتل جنود بريطانيا الذين يحمونها ويمهدون السبيل لإقامة دولتهم رغم أنوف البلاد العربية وغيرها.. ولم تفرق في التنكيل بينهم وبين العرب.. بل كانت تقتل من البريطانيين كل من تأنس منه تراخياً في تأييد سياستها الإجرامية.. ومن ذلك.. قتل إرهابيين منها للورد (موين) الوزير البريطاني في مصر خلال الحرب لأنه أبي التطرف مع تلك العصابات في مطالبها الفاضحة الجامحة.. وتعرضت مصر بقتله لكارثة لم يكن يعلم مداها إلا الله لو لم تقبض الشرطة المصرية على الإرهابيين القتلة.

وقد أثار تقتيل العصابات الإسرائيلية للبريطانيين عسكريين ومدنيين.. ونسفها لمنشآتهم وعدوانها على مخازن أسلحتهم وذخائرهم ـ غضب كثير من أحرارهم وفيهم الساسة ذوو السلطان في الحكم كالوزراء وأعضاء البرلمان.. ولكنهم أمام نفوذ الصهيونية العالمية في أوروبا وأمريكا خابوا في القصاص من العصابات الإسرائيلية وفي وقف نشاطها المدمر.. لا ضد العرب فحسب بل ضد ضحاياها من رجالهم وأملاكهم.. بل خابوا في وقف مساعدات حكوماتهم المتوالية لتلك العصابات التي ما كانت لتستطيع بغير هذه المساعدات أن تتمادى في عدوانها عليهم وعلى العرب.. ولكن توالي المساعدات هو الذي مكن لتلك العصابات في عدوانها إلى حين قيام إسرائيل وفيما بعده حتى الآن.

وخلال ذلك كله كان ذوو الأقلام الحرة الجريئة بين الساسة والصحفيين والمفكرين والأدباء في بريطانيا.. يبدءون ويعيدون في حديث المؤامرة الصهيونية ضد بلادهم ودينهم كما تدل عليها الفتن العالمية وأقوال زعماء اليهود معاً في أوروبا وأمريكا والشرق الادنى خلال القرنين الأخيرين.. ومضوا يقارنون ويوازنون في حديث المؤامرة بين صورتها الواضحة من تلك الفتن والأقوال وصورتها من الوثائق السرية

المنسوبة إليهم ولا سيما البروتوكولات.. وينتهون من هذه الدراسة إلى نتائج بسيطة.. ولكنها مع بساطتها مدهشة معجبة.. منها صحة نسبة تلك الوثائق - وفي مقدمتها البروتوكولات التى وضعها اليهود من أصحاب الحركة الصهيونية.. لأن الشواهد من الفتن والأقوال اليهودية الصريحة في القرنين الأخيرين بل الأقوال المشابهة لها في التوراة ثم التلمود ثم فتاوى الربانيين اليهود بعد ذلك تعزز صحة هذا النسب العبراني لليهودي اللئيم.

وسواء أكان الحافز لهؤلاء الكُتاب الأحرار وغيرهم في بلاد العالم هو الغيرة القومية أو الدينية أو نحوها أم الغيرة الإنسانية وهي أنبل وأكرم فانهم يقدمون نتائج دراساتهم الوثيقة أمام العيون المفتوحة وأمام العيون التي يغمضها الجهل أو الغفلة أو الهوى على السواء.. لتُبصر الجحيم الذي أعده اليهود لسائر أمم العالم بأديانها وقومياتها وثرواتها ونظامها أن قدر لهم أن يسيطروا عليها.. ولتبصر الويلات التي يعدونها لها في الطريق نحو تلك الخاتمة.. لو لم يتمكنوا من الدفع بها إلى هذا الجحيم.

ومن دراسات هؤلاء الكتاب الأحرار هناك مقالات صحفية.. وفصول من كتب بل لقد ظهرت كتب خاصة بتوضيح خطط البروتوكولات وأهدافها ووسائلها معززة بالشواهد الكثيرة من الفتن العالمية وتصريحات قادة اليهود في القرنين الأخيرين.. ومع مقارنتها بتصريحات الكتب اليهودية المقدسة كالتوراة والتلمود ثم فتاوى حكماء (حاخامات) اليهود وصلواتهم وتعليماتهم التي تحفظها دفاترهم وصُحُفهم وسجلاتهم في المدارس والمعابد والخزائن.

وشاع أنه ما من أحد ترجم هذا الكتب أو عمل على إذاعته بأي وسيلة إلا انتهت حياته بالاغتيال أو بالموت الطبيعي ظاهراً ولكن في ظروف تشكك في وسيلته.. وأفزعت هذه الشائعة بعض الناس ومنعتهم ترجمته.. ومن ذلك أن جريدة (الأساس) - إحدى الإصدار ات الصحفية المصرية - تمكنت من الحصول بوسيلة صحفية على نسخة للبروتوكولات مكتوبة بالآلة الكاتبة لقاء ثمانين جنيهاً.. ودفعت النسخة إلى أحد المترجمين فيها.. وطلبت منه ترجمتها لقاء أجر أضافي كاف لإغرائه.. فأحجم عن

ترجمتها برهة.. بعد أن بلغته تلك الشائعة وسأل عن صحتها أديباً كبيراً فينا فلم يكذبها الأديب الكبير.. بل قابله بالابتسام والدعابة في الجواب عما سأله.. وقد لقيني ذلك المترجم يوماً في دار (الأساس) سنة ١٩٤٧ وأبلغني هذا كله.. فلما علم أنني فرغت من ترجمة البروتوكولات.. وأني سأنشرها تباعاً في (مجلة الرسالة) حذرني كثيراً.. فلما رأى إصراري لقبني (الشهيد الحي) وكرر نصيحتي بالحذر.

ندرة نسخ الكتاب ووسائل اليهود في منع تداوله

من أجل ذلك وغيره كانت نسخ الكتاب اليوم قليلة.. بل نادرة مفرطة الندرة.. وحسبك من كتاب صفحاته مائة أو دونها من القطع المتوسط تباع نسخته مكتوبة على الآلة الكاتبة لقاء ثمانين جنيهاً كما أشرنا هنا.. وقد أخبرني أحد سفرائنا المصريين في أحد الأقطار الشرقية الآن - أثناء إقامته في فرنسا.. ونشرت مجلة (روز اليوسف) المصرية في عدها ١٢١١ في ٢٨ أغسطس١٩٥١ مقالاً كان عنوانه (روز اليوسف) تحصل على أخطر كتاب في العالم" وقد صدرت مقالتها بهذا العنوان :

(تمكنت إحدى الجهات المصرية الرسمية من الحصول على كتاب خطير)

الكتاب اسمه "بروتوكولات حكماء صهيون" ودفعت ثمناً له خمسمائة جنيه.. ولعل هذه النسخة التي حصلت عليها الجهة الرسمية هي الوحيدة الموجودة في الشرق.. وإحدى ثلاث نسخ موجودة في العالم.. ومع حذف المبالغة التي توحي بها المهنة الصحيفة في هذا الخبر تبقى حقيقة مؤكدة هي ندرة نسخ الكتاب بسبب نفوذ الصهيونية العالمية وأنصارها.. وبتوقي الناس غضبهم وغضبها في بلاد العالم.

كما عرفت من موظف كبير في جامعة الدول العربية أثناء اجتماعي به في دار مجلة (الرسالة) إن خلاصة هذا الكتاب في صفحات طبعت بالعربية في سورية.. فبيعت كل نسخة من الخلاصة بنحو جنيه مصري.. وقد تطوع صاحبها بنسخها لتباع ويرصد ثمنها معونة لجمعية خيرية هناك.. مبلغ علمي إن هذا الكتاب لم يترجم كله ترجمة عربية

أمينة وافية قبل ترجمتي هذه.. وأنه - كذا قال المؤرخ الكبير (دوجلاس ريد) لم يجرؤ ناشر في أوروبا ولا أمريكا على طبعه بأي لغة منذ سنة ١٩٢١.

وما تعرض إنسان لترجمة الكتاب ونشره إلا تعرض للحملات العنيفة من الصهيونيين وصنائعهم.. وعندما شرعت في نشر البروتوكولات في جريدة (منبر الشرق) شرعت صحيفتان يهوديتان تصدران في مصر تهاجمانني وتتهمانني بتهم عدة.. ولم أتتبع هذه الحملة.. ولا أهمني أمرها.. إذ كنت انتظرها فلما جاءت على موعد لم تفاجئني بجديد.

وقد أشرت قبل ذلك إلى أن اليهود كانوا يطعنون في نسبة الكتاب إليهم منذ أن نشره نيلوس لأول مرة بالروسية سنة ١٩٠٢ وأنهم كانوا - أينما طُبِعَ.. وبأي لغةٍ طُبِعَ - يحاولون جمع نسخه من الأسواق بكل الطرق.. وكانوا يُحملون الحكومات على مصادرته فأبى الوزير ذلك.. وحجته أنه لا يملك حق مصادرته.. ثم وضح للنواب الثائرين أن عليهم أن يلجأوا إلى القضاء إذا كانوا يرون الكتاب مختلقاً على اليهود.. فأفحم الثوار من النواب المتحمسين للصهيونية. بعد هذه الخيبة التي مني بها وكلاؤهم في مجلس العموم لم يجد اليهود مفراً من شراء نسخ الكتاب.. ثم شراء ضمائر ذوي الأقلام العوجاء بالمال والنساء وغيرهما لإيقاف الحملات ضدهم بمثلها.. كما لجأوا للشتم والسباب البذيء وهكذا كانت خطتهم معي منذ نشرت البروتوكولات في "منبر الشرق".

وهكذا فعلوا أيضاً في فرنسا عندما أُعلِنَ عن قرب صدور الكتاب.. وضغطوا على الحكومة الفرنسية لمصادرته ففشلوا.. وأحالتهم على المحاكم.. وكانوا في كل بلد إلا سويسرا يتجنبون رفع الأمر إلى المحاكم.. لأن القضاء لابد أن يدمغهم بكل ما في البروتوكولات من مخاز وفضائح.. وهناك وسائل سوى ما ذكرناها من النساء والأموال يلجأ إليها اليهود لمنع الكتاب من التداول ومنع تأثيره.. أو حصره في أضيق نطاق.

من هذه الوسائل ما تقرره بروتوكولاتهم.. وكتبهم المقدسة: كالتهديد والإرهاب والقتل وغيره للتخلص من كل عدو خطر.. وإمامهم في هذا نبيهم موسى كما تصوره لهم التوراة.. فإنه حين رأى مصرياً وعمانياً يقتتلان التفت هنا وهناك "فلما لم يجد أحداً قتله وطمره في

الرمل" وهذا المثل - في كتاب شريعتهم المقدس - يوضح لهم الطريق الذي يتخلصون به من كل أعدائهم.. ومن هذا الطريق الرهيب اختفى أو اغتيل كثير من ذوي الأقلام الحرة الذين لم تنجح الأموال والنساء والمناصب والتهديدات في استمالتهم إلى صف اليهود.. أو في وقف حملاتهم عليهم. وهؤلاء الأحرار كلهم أو كثير منهم اختفوا أو اغتيلوا أو ماتوا طبيعياً ولكن في ظروف غريبة وطرق مريبة تستعصي على الفهم.

أقسام الكتاب وعنوانه

لاحظ نيلوس في مقدمته التي نقلناها عنه هنا أن أقسام هذه الوثائق "ليست مطردة إطراداً منطقياً على الدوام" ونزيد على ملاحظته.. أن موضوعاتها متداخلة.. فلم يتناول كاتبها كل موضوع على حدة في بروتوكول أو أكثر.. ولم يضعه موضعه المناسب.. بل أنه وزع بعضها اعتسافاً في مواضع متعددة لأدنى مناسبة حيناً ولغير مناسبة حيناً آخر.

ولم أجد في الطبعة الإنجليزية الخامسة التي ترجمتها هنا ترقيماً مسلسلاً للبروتوكولات إلا أرقاماً في الفهرس تشير إلى بدايتها في متن الكتاب.. وكل ما يدل على موضع البداية لبروتوكول منها في المتن إنما هو فراغ بمقدار سطر حيناً أو فأصل بثلاثة نجوم (❖❖❖) حيناً.. أولا فراغ ولا فأصل وأن دل عليه استئناف الكلام في موضوع جديد.

كما لم أجد عنواناً لكل بروتوكول يدل على موضوعه أو موضوعاته.. ونظن - والظن لا يغني من الحق - أن المترجم الإنجليزي كان كعادة القوم محافظاً على التقسيم الذي وجده في النسخة الروسية التي نقل عنها.. وهي نسخة من الطبعة الروسية الثانية.. كان مترجمها وناشرها الأول في العالم هو نيلوس كما أشار إلى ذلك "البريطانيون" في مقدمتهم للطبعة الإنجليزية الخامسة التي نقلناها هنا أيضاً.

ولوثائق كتابنا هذا عنوان.. أقدمهما هو "بروتوكولات حكماء صهيون ـ Brotocols Of Learned Elders of Xio".. وهذا هو العنوان الأشهر الذي عرفت به الوثائق في جميع اللغات.. وتكاد لا تعرف بغيره حتى في اللغة الإنجليزية التي أضافت إليه عنواناً آخر أقل شهرة.

وواضع هذا العنوان الأقدم الأشهر للوثائق هو الروسي (سرجي نيلوس) أول ناشر لها في العالم كما سبق وقلنا.. كما تدل على ذلك مقدمته لطبعتها الروسية الثانية التي ترجمناها هنا.. وعلى ذلك تدل أقوال أخرى لمن اهتموا بدراسة البروتوكولات وتاريخها ونقدها أو الدفاع عنها.. وبعض هذه الأقوال للأستاذ نيلوس أيضاً.

وهذا العنوان "فيه نظر" كما كان يلفظ أسلافنا من العلماء المحققين في تحديدهم لمعاني الألفاظ أو الآراء الغامضة حتى لا تختلط على الأذهان.. فقد غمض معنى (بروتوكول)على بعض المترجمين فاخطأوا فهم حقيقة الوثائق ونظامها.. وأوقعوا معهم بعض القراء والدارسين في هذا الخطأ.. وبيان ذلك أن كلمة "بروتوكول" تعني أحياناً (محضر جلسة) فلما سمى نيلوس هذه الوثائق "بروتوكولات" ظن بعض المترجمين أن طائفة بين كبار زعماء الصهيونية في الدرجة الثالثة والثلاثين في جماعة الماسونية اليهودية ـ كما وقعت الوثائق ـ قد ائتمروا في عدة جلسات.. وبعد المناقشة اتفقوا خلالها على عدة قرارات منها هذه الوثائق.. فصح أن تسمى "برتووكولات" كما سماها نيلوس مع التجاوز الكثير.. ومن هنا ترجم بعضهم عنوانها بما يدل على ذلك.. ومن تراجمها في العربية كلمة "قرارات" و"مقررات".

وليس الأمر كما فهم هؤلاء المترجمين ومن تبعهم في هذا الخطأ إذ ليس في الوثائق أدنى أشارة إلى ذلك.. ولا في قراءتها الفاحصة ما يوحي إلى الوعي شيئاً منه.. بل يوحي هذا بما وعى منها نيلوس وذكره صراحة في مقدمته إذ قال:

"نحن لا نستطيع أن نغفل الأشارة إلى أن عنوانها لا ينطبق تماماً على محتوياتها.. فهي ليست على وجه التحديد مضابط جلسات Minutes of meetings بل هي تقرير وضعه شخص ذو نفوذ.. وقَسَمه أقساماً ليست مطردة اطراداً منطقياً على الدوام.. وهي تحملنا على الإحساس بأنه جزء من عمل أخطر وأهم بدايته مفقودة.. وأن كان أصل هذه الوثائق السالف ذكرها ليعبر هنا بوضوح عن نفسه".

ويبدو لنا أن نيلوس مصيب في هذا الرأي.. فالوثائق ليست مضابط جلسات كما تدل عليها كلمة "بروتوكولات" التي اختارها اسماً لها فأوقع بتسميته كثيراً من القراء في الخطأ ولكن الوثائق محاضرة طويلة ألقاها زعيم موقر المكانة على جماعة من ذوي

الرأي والنفوذ بين اليهود ليستأنسوا بمضامينها تقريراً وتنبؤاً فيما هم مقدمون عليه بعد.. حتى تقوم مملكة إسرائيلية تتسلط على كل العالم.. ويظهر أن المحاضرة قد ألقيت في أكثر من جلسة كما تدل فاتحة البروتوكول العاشر الذي بدأ هكذا **"اليوم سأشرع في تكرار ما ذكر من قبل"**.. وفاتحة البروتوكول العشرين.. إذ قال **"سأتكلم اليوم في برنامجنا المالي الذي تركته إلى نهاية تقريري لأنه اشد المسائل عسراً. "**.

وإذا اعتبرنا هذا أمكننا الظن بأن الوثائق محاضرة ألقيت في ثلاث جلسات:

- ألقيت في أولاها البروتوكولات التسعة الأولى..
- وألقيت في الجلسة الثالثة البروتوكولات الخمسة الختامية (ـ) التي بسط في معظمها البرنامج الحالي.. ولخص ما سبقه..
- ثم وضح نظم الحكم في الدولة العالمية المنتظرة.

وقد لاحظت ذلك في قراءاتي الأولى للوثائق.. فلما أردت ترجمتها حرت طويلاً في ترجمة كلمة "بروتوكولات".. وسألت عنها المعاجم ومطالعاتي الكثيرة وفقهي بلغتنا.. كما سألت كثيراً من رواد الفكر والترجمة عندنا فلم أسترح إلى كلمة مما سمعت في ترجمتها.. وكانت أمامي كلمات كثيرة مثل "قرارات" و"مقررات" و"محاضر" و"مضابط جلسات" ونحوها فعدلت عنها جميعاً وأبقيت على أصل الكلمة معربة وآنسني منها كثرة استعمالها بيننا في المداولات السياسية على الألسنة وصفحات الجرائد والمجلات.

وكانت حيرتي أقل في ترجمة Learned Elders التي تعني العارفين من أكابر السن.. فترجمتها "شيوخ" كما ينبغي للعناوين من اختصار.. وتحت عنوان (بروتوكولات شيوخ صهيون) نشرت أوائل الوثائق في مجلة "الرسالة" ثم نشرتها كاملة في مجلة (منبر الشرق) بعد توقف الأولى عن استكمال نشرها.

ولكني عدلت عن كلمة "شيوخ" التي اخترتها أولاً.. وعن كلمة "عقلاء" التي اختارها مترجم مجلة "روز اليوسف" حين أشار إلى عثور حكومتنا على نسخة من هذا الكتاب مع أننا كنا فرغنا من نشر وثائقه كلها في "منبر الشرق" وعدلت عن كلمة "مشيخة" التي اختارها أديب كبير عندنا.. ورددها في مقالاته وأحاديثه الإذاعية في حملاته على

"الصهيونية العالمية".. وآثرت كلمة "حكماء" لأنها أوفى دلالة من كلمة "عقلاء" وأوقع من الكلمتين "شيوخ" و"مشيخة" وأولى أن لا تختلط بما نلقب به للتوقير علماءنا المسلمين بين رجال سائر الأديان. وهذا العنوان "بروتوكولات حكماء صهيون" هو الذي شاع ترجمة لعنوان الوثائق بعد أن طبعناها كتاباً.. وفاض صيته بين قراء العربية ولا سيما الساسة والأدباء والمفكرين.. حتى أن هيئة من هيئات الدعاية والنشر اختارته عنواناً لهذه الوثائق حين طبعتها.. بعد أن ادعت أنها ترجمتها عن أصل فرنسي.. وأخذت من ترجمتنا فقرات كاملة بحروفها وبدايتها ونهايتها.. بل تصحيفاتها المطبعية.. وكان عنواننا عنوان غلافها.. بعد أن نسيت الهيئة النشيطة الواعية انها وضعت للكتاب من داخله عنواناً آخر هو "بروتوكول حكماء صهيون".

وأما العنوان الثاني للوثائق - وهو دون الأول شهرة - فهو "الخطر اليهودي" وواضعه هو (فكتور مارسدن) مراسل جريدة "المورننج بوست" اللندنية.. وهو الذي ترجم الوثائق من الروسية إلى الإنجليزية.. وأضاف لها هذا العنوان إلى عنوانها الأول وقدمه عليه في طبعته.. وكتبه بحروف أكبر ليزيده تنويهاً.. وقد أتبعناه نحن في ترجمتنا العربية عنه.. لا لمجرد الأمانة.. في النقل فحسب بل لأن الكتاب في تقديرنا جدير بالعنوان أيضاً.

ولقد أصاب المراسل الحصيف فيما اجتهد واختار.. إذ لم ينظر إلى الحركة الصهيونية في العالم بمعزل عن تأييد جميع اليهود كما نظر - وما يزال ينظر - إلى غيره من الهُواة الهازلين الذين يتعاطون السياسة ودراسة النظم الاجتماعية والحركات التاريخية ظالمين.. دون فقه بفلسفة التاريخ والبواعث الخفية من وراء تياراته المحلية والعالمية.. فمهما يكن من تبرئة سائر اليهود من مشاركة الصهيونيين مساعيهم لفرض سلطان اليهودية محلياً أو عالمياً فلا شك أن هؤلاء الأبرياء - على أضعف الوجوه - ضالعين في الحركة الصهيونية بالعطف.. والرغبة في النجاح والمساعدة التي لا تعرضهم لنقمة الأمة التي يعيشون فيها.. ولنقمة الحكومة التي يخضعون لسلطانها.. ولاشك أن الحركة الصهيونية تستفيد من كل يهودي في العالم بطريق مباشر على هواها وهواه.. وبعض هؤلاء قد يخالفها سراً أو جهراً في خططها أو وقت تنفيذها ولكنه لا يخالفها أبداً في الغاية التي تمليها عليه شريعته الموسوية لو لم تكن هناك حركة صهيونية..

وليس من المنتظر أن يخذلها عند المحن.. أو تختلف بواعثه في مساعيه وأعماله عن بواعثها.. وهذه البواعث عندنا أهم من الوسيلة والغاية لأنها هي التي تحدد الوسائل والغايات وتدبر لها ما ينبغي من مساعدات. وإذا لم يفعل اليهودي ذلك من جانب الإيمان بالحركة الصهيونية أو بشريعته الموسوية فمن جانب الغيرة القومية التي لم تخل منها نفس يهودي في أحلك العهود ولا أشدها إشراقاً.. وقد تجد اليهودي ملحداً منكراً لكل دين.. بل منكراً لكل أساس ديني في الحياة.. وهو مع ذلك من غُلاة الدعوة الصهيونية.. ومن هؤلاء (ماركس نورداو) الذي كان ملحداً مجاهراً ينكر كل أصل غيبي للدين وللأخلاق أيضاً.. وكان مع كل ذلك من رؤوس المؤسسين للحركة الصهيونية ومن أقوى دعاتها بقلمه ولسانه.. بل كان داعيتها في كل ما كتب وخطب ظاهراً وباطناً حيث أراد ذلك وحيث لم يرده بحكم نزعته اليهودية المركزة أصولها في أخفى طوايا سريرته.. وبحكم موروثاته ومأثوراته وأسلوب حياته جمعاً. وهي ناضجة على كل آثاره الكريهة بلا خفاء.

وإنه لمن الإفراط في الجهل والغفلة والهوى أن يخطر على عقل قابل للفهم أن يهودياً يتمنى مخلصاً خيبة الحركة الصهيونية أو فشلها.. مهما يخالفها في خططها أو مراحلها أو وسائلها أو مواقيتها.. وأبعد من ذلك في الشطط أن يستريح عقل إلى أن يهودياً يسعى مخلصاً لمقاومة الحركة الصهيونية بقلمه أو لسانه أو نفوذه أو ماله وأن رآه يغمد سيفه في قلب فرد أو هيئة من أتباعها أو أتباع حركة سواها.. ومهما يتعادى اليهود أو يتفانوا طوعاً لما رسخ في نفوسهم من البغضاء والضراوة بالشر فلا اختلاف بينهم على من يكون الضحايا.. والضحايا هم أنا وأنت من الأمميين الذين حرمهم الله شرف النسب اليهودي فإنهم يرون أنهم وحدهم "شعب الله المختار" وما عداهم "أشياء" هي ملكهم وحدهم يتصرفون فيها على ما يشاءون دون قيد إلا مصلحة اليهود الخاصة.. فهكذا تملي عليهم التوراة والتلمود ونصائح سائر الأئمة بينهم والزعماء.

ومن أعجزه فهم ذلك لم يعجزه التصديق بأبعد المستحيلات.. وهو قابل لأن يفقه شيئاً في المجالات السياسية والاجتماعية ولو كان من العلم بغيرها في أعلى مكان.. وأن أمة يكون لمثل هذا الآدمي المسكين يد في تصريف شؤونها العليا - لا سيما خلال الأزمات - لهي أشد منه مسكنة وأولى بأبلغ الرحمة. ومصيرها لا شك الفناء وما هو شر من الفناء.